

توفيق الحكيم



السيد الحكيم



مكتبة علي بن صالح الرقمية

توفيق الحكيم



ساحرة

مسرح

1950



كتب اونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

ساحرة

من وحي الحوادث الجارية

(حديقة الأسماك ... المقهى أو «البوفيه» وهو خالٍ من الجمهور ... والخادم أو «الجرسون» يُنظف الموائد وهو يترنم بأغنية شعبية ... وإذا بأنسة في السادسة والعشرين هي «سعاد»، تقبل بعجلة وحذر وهي تتلفت خلفها.)

سعاد (للجرسون في شبه همس): اسمع من فضلك يا ...

الخادم (يلتفت إليها بأدب): أفندم!

سعاد: تسمح ... أكلفك بخدمة بسيطة؟

الخادم: خدامك!

سعاد (تفتح حقيبة يدها وتُخرج منها ورقة بخمسة قروش): أولاً، خذ هذا لك.

الخادم (يتناول النقود): عشت يا ست!

سعاد (تُخرج من حقيبتها ورقة صغيرة مطوية على شيء صغير): خذ هذا أيضاً.

الخادم: ما هذا؟

سعاد: قطعة سكر عادية.

الخادم: السكر عندنا كثير يا ست.

سعاد: مفهوم ... ولكنني أريد منك أن تدس هذه القطعة في السكر الذي عندكم.

الخادم (غير فاهم): أدسها في ...

سعاد: في إناء السكر الذي ستُحضره إلينا الآن مع الشاي ... فهمت؟

الخادم: لا ... لم أفهم!

سعاد: بعد لحظة ... سيأتي هنا أفندي ويجلس معي وسنطلب الشاي ... فإذا أحضرت إناء

السكر مع الشاي، فليكن فيه هذه القطعة.

الخادم: فهمت ... تريدني حضرتك أن أضع هذه القطعة في «السكرية» تعلقنا

وأحضرها مع الطلب.

سعاد: مسألة بسيطة جداً.

الخدّام (يتناول من يدها الورقة ويفتحها): قطعة سكر عادية!

سعاد: طبعاً عادية!

الخدّام: وما هي الحكمة؟!

سعاد: هذا موضوع يخصني أنا وخطيبي الأفندي الذي سيأتي هنا بعد لحظة.

الخدّام: لا مؤاخذه على السؤال (يفحص قطعة السكر) ... لا بد أن حضرتك معلّمة قطعة السكر بعلامة.

سعاد: بالضرورة ... المهم أنك تنفذ طلبي بكل دقة.

الخدّام: وخطيب حضرتك عنده خبر؟!

سعاد: بماذا؟

الخدّام: بهذا الموضوع.

سعاد: لا ... طبعاً هذا سر بيني وبينك؛ لأن الحكاية حكاية مُداعبة.

الخدّام: مداعبة؟!

سعاد (تلتفت): صه ... ها هو ذا قادم ... نفذ ما طلبته منك ... ولا شأن لك بالباقي.

الخدّام (وهو منصرف): لا شأن لي أبداً ... الداخِل بين البصلة وقشرتها ...

(يذهب الخدّام ... ولا يلبث الأفندي الخطيب، وهو «عز الدين»، أن يظهر مسرعاً فيجد «سعاد» حائرة بين الموائد، كمن لا تدري أيها تختار.)

عز الدين (وهو ينظر إلى الساعة في معصمه): أبطأت عليك يا «سعاد»؟

سعاد: لا ... مطلقاً ... إنك في ميعادك.

عز الدين: بالدقيقة!

سعاد: أنا أيضاً يا «عز الدين» لم أسبقك بأكثر من لحظة ... إني، كما ترى، لم أجلس بعد.

عز الدين: أتريد أن نجلس هنا من الآن؟ ... أأنا نذهب أولاً لمشاهدة السمك؟

سعاد: السمك؟ ... أهذه أول مرة تأتي فيها إلى حديقة الأسماك؟!

عز الدين: ليست أول مرة ... هذا صحيح ... ولكن ربما جاءوا بنوع جديد من السمك.

سعاد: لم يأتوا بجديد ... كل مرة نقول ذلك ... ونجد السمك هو السمك لا زاد ولا نقص. اجلس يا «عز الدين» نشرب الشاي ونتكلّم فيما هو أهم.

عز الدين: نتكلم؟ ... لا ... نتمشي أولاً ... هذا أحسن ... نتمشي بين الأشجار كالعادة؛ لأن المكان هنا مكشوف ... وقد يأتي من يشغل بعض هذه الموائد فيعكر علينا صفونا.

سعاد: ولماذا لا نشرب الشاي أولاً ثم نمشي في الحديقة بعد ذلك؟

عز الدين: أمرك!

سعاد: ما قولك في هذه المائدة المفردة تحت هذه الأغصان؟ (تتجه إلى ركن في المكان).

عز الدين (وهو يتبعها): جنان!

سعاد (تجلس إلى المائدة): سأموت من العطش!

عز الدين (يجلس ويصفق بيديه منادياً): يا جرسون!

الخدّام (من الخارج صائحاً): حاضر.

عز الدين: من فضلك!

الخدّام (يظهر): أفندم سعادة البك!

عز الدين: شاي.

الخدّام (صائحاً): اثنين شاي! (ثم يخرج).

سعاد (تعدّل في جلستها): والآن ... ماذا تحمل لي من أخبار سارة؟

عز الدين: لا شيء!

سعاد (في شيء من الامتعاض): لا شيء؟!

عز الدين: طبعاً ... ألا تقرئين الصحف؟! ... ما دام حزبنا بعيداً عن الحكم فسأظل هكذا موظفاً في الدرجة الخامسة الإدارية.

سعاد (تتنهد): نعم ... وسأظل أنا هكذا أسمع منك هذه النغمة المملوءة بالسخط والتبرم.

عز الدين: حظ ... حظ سيئ!

سعاد: حظك وحظي؟

عز الدين: بل حظ البلد ... هذا البلد المسكين الذي لم يوفقه الله إلى الحزب الذي يُصلح فاسده، ويُقيم اعوجاجه، ويقضي على المحسوبية والحزبية والفوضى.

سعاد: هذا الحزب المُصلح هو بالطبع الحزب الذي تنتمي أنت إليه!

عز الدين: بالتأكيد.

سعاد: إني معجبة بإيمانك الأعمى به!

عز الدين: وأنت؟ ... ألا تؤمنين به؟!

سعاد: إني أومن بك أنت.

عز الدين: إيماناً أعمى؟

سعاد (تُفكّر قليلاً): بل إيماناً مُبصراً.

عز الدين: لا يا سعاد ... لا أريد هذا الإيمان المُبصر مع جامعة مثلك! ... لأن عقلك الناضج، على الرغم منك، سيُبصر عيوبي.

سعاد: اطمئن! ... عيوبك أراها وأعرفها ... وليس لها عندي أدنى تأثير.

عز الدين: عيوبي؟ ... ما هي عيوبي؟

سعاد: كثيرة ... أخبرك عنها فيما بعد.

عز الدين: متى؟

سعاد: عندما يحين الوقت ... أنت أيضاً سوف تذكر لي عيوبي.

عز الدين: ليس لك عيوب.

سعاد: غير معقول!

عز الدين: ثقي أنني أتكلّم عن إيمان.

سعاد: مثل إيمانك بحزبك؟

عز الدين: إني أرى فيك كل شيء جميلاً ... رقيقاً ... مهندياً ... كريماً ... لطيفاً ... رائعاً ... سامياً ... رقيقاً ... بديعاً!

سعاد: العضو، العضو ... هذا كلام رجل غير مسئول.

عز الدين: غير مسئول؟

سعاد: غير مرتبط!

عز الدين: هذا كلام صادر عن إخلاص تام.

سعاد: آه لو استطاع هذا النوع من الإخلاص التام أن يعيش طويلاً في جو الحياة الزوجية!

عز الدين: وبغير هذا الشرط ... إنه يستطيع أن يعيش جيداً في حياة الصداقة.

سعاد (ممتعضةً): رأيت؟! ... إنك تتحاشى معي دائماً لفظ الزواج!

عز الدين: لم ألاحظ ... لم أقصد!

سعاد: بل تقصد!

عز الدين: «سعاد» ...!

سعاد: ليست هذه أول مرة.

عز الدين: إني ...

سعاد: أنت حر.

عز الدين: ثقي يا «سعاد» أني ...

سعاد: صه! ... «الجرسون» قادم!

(يظهر الخادم وهو يحمل صينية عليها مُعدّات الشاي، ويضع فنجانين فوق المائدة ... أمام كل منهما فنجان ... ويضع الأباريق وأنية السكر، ثم يُشير إليها بطرف عينه إشارةً خفيةً تفهمها «سعاد»، فتضغط على شفتها السفلى مشيرةً إليه بالصمت ... ويذهب هو بعدئذٍ إلى آخر المكان، ويتشاغل بمسح الموائد قليلاً، ثم ينصرف.)

عز الدين (يمدُّ يده نحو الإبريق): تريدين الشاي باللبن؟

سعاد (تُسرع إلى أنية السكر): لا ... دعني أنا أتولّى عنك ذلك ... تريد قطعة واحدة من السكر كالعادة؟

عز الدين: نعم.

سعاد (وهي تُحدّق في السكرية وتستخرج منها قطعة بالذات): قَرِّب فنجانك! (تضع فيه قطعة السكر ثم تتناول الإبريق بسرعة وتصبّ) شاي بدون لبن طبعاً.

عز الدين: طبعاً ... أشكرك!

سعاد (وهي تملأ لنفسها فنجانها): أما أنا فأعصابي لا تحتمل الشاي بغير قليل من اللبن.

عز الدين (وهو يُقلِّب فنجانه بالملعقة): نعم ... أعصابك يا «سعاد» في حاجة إلى الهدوء ... إنك تغضبين لأقل سبب.

سعاد: متى غضبتُ؟

عز الدين: منذ لحظة.

سعاد: أهو غضب؟!

عز الدين (وهو يجرّع فنجانه): وما هو إذن؟

سعاد: يأس.

عز الدين (يسينغ الشاي بصعوبة): ما هذه الممرارة؟

سعاد (في شيءٍ من الاضطراب): ممرارة الشاي؟

عز الدين: أيمكن أن يكون الشاي مرّاً هكذا؟!

سعاد (تتمالك نفسها): الشاي في مثل هذه الأماكن ليس في الغالب من الصنف الجيد.

عز الدين (وهو يُواصل الشرب): معقول!

(سعاد تُحدّق في وجهه.)

عز الدين (وهو يضع فنجانَه وقد شربه): لماذا تنظرين إليّ هكذا؟

سعاد: ما هو؟ ... ما هو شعورك الآن؟

عز الدين: شعوري؟

سعاد: نعم ... أقصد شعورك العام.

عز الدين (باسماً): بخير ... على كل حال، ليس هو شعور اليأس.

سعاد: لا شك عندي في ذلك ... وما هو المُوجِبُ عندك أنت لليأس؟ ... إن هذا الموقف

هو وليد رغبتك أنت وإرادتك وتصميمك!

عز الدين: أي موقف؟

سعاد: أظن الإشارة تكفي.

عز الدين: أعتقدين أنني ذكي؟

سعاد: الموضوع لا يحتاج إلى ذكاء.

عز الدين: الموضوع يا «سعاد» هو أنك تنظرين إلى الأشياء بمنظار أسود.

سعاد: لا ... إنني لا أستخدم المنظار في النظر إلى الأشياء ... إنني أبصر بالعين المُجرّدة

... وأرى الأسود أسود، والأبيض أبيض ... إنني حقاً يائسة ... ولكنني لست متشائمة ... إنني

أرى الموقف على حقيقته، ولكنني على الرغم من ذلك لم أقف مكتوفة اليدين ... نعم ... ثِقْ

أني لست ممن يقفون أمام المصاعب مكتوفي الأيدي.

عز الدين: ماذا أنت صانعة؟

سعاد: صنعتُ وانتَهى الأمر.

عز الدين: صنعتِ ماذا يا سعاد؟

سعاد: فلنترك النتائج تتكلّم ... هلمّ بنا!

عز الدين: إلى أين؟

سعاد (ناهضةً): إلى بيتي.

عز الدين: بهذه السرعة؟ ... تعودين إلى البيت!

سعاد (وهي تتحرك مُطْرِقةً): أريد أن أخلو إلى نفسي!

عز الدين: انتظري ... انتظري حتى أَدْفَع ... (ينادي) يا ... يا جرسون!

الخدّام (يظهر مهروناً): أفندم.

عز الدين: حسابك ...

الخدّام: عشرون قرشاً فقط يا سعادة البك.

عز الدين (وهو يدفع له النقود): على شايكم المُر.

الخدّام: مُر؟!

عز الدين (وهو منصرف): حنظل!

(يذهب «عز الدين» و«سعاد» ... ويبقى الخدّام لينظف المائدة ويحمل الأباريق والفضاجين وهو يغني أغنيته الشعبية، فيدخل عليه خادّم آخر مسرعاً.)

الخدّام الثاني (للخدّام الأول): يا عوضين!

الخدّام الأول: «نعمين!»

الخدّام الثاني: اسمح لي أقول لجنابك إنك حمار برأسين! ... وإنما جميعاً بإذن الله سندخل بسببك اللومان!

الخدّام الأول: اللومان؟

الخدّام الثاني: الحكاية التي قلتها لي الساعة دارت في مخي، ووجدت فيها مسئولية علينا ... ست تعطيك قطعة سكر مشبوهة لتضعها بعد ذلك في فنجان الأفندي ... من أدرانا أنها ليست مسمومة؟! ... إذا ظهر في الأمر جريمة، واتضح أن قطعة السكر التي سمت الأفندي كانت في السكّرية تعلقنا ... أليس نتيجة ذلك، يا «عوضين» يا حيوان، أننا جميعاً نروح في الحديد؟!

الخدّام الأول: يا نهار أغبر! ... كلام تمام ... خصوصاً والأفندي قال إن الشاي مر حنظل! ... والعمل؟ والعمل؟ ... نمسك الست السماوية؟

الخدّام الثاني: اصبر، اصبر ... خذ المسألة بالراحة!

الخدّام الأول: قل لي الحل.

الخدّام الثاني: الحل أننا نقول للأفندي الحكاية التي حصلت بالتمام والكمال ... ونخلي مسئوليتنا.

الخدام الأول: كلام طيب. الأفندي واقف قدامنا مع الست تحت الشجرة ... انتظرني.

الخدام الثاني (يستوقفه): أستقول له في حضورها؟!

الخدام الأول: وأضع أصابعي في عينيها.

الخدام الثاني: حمار!

الخدام الأول: وآخرتها معك؟ ... حيرتني!

الخدام الثاني: بالدوق ... الدوق ليس أحسن منه ... نادي الأفندي هنا وفهمه في السر.

الخدام الأول: أناديه بأي طريقة؟

الخدام الثاني: يا حفيظ! ... دماغك مقفول بقفل «مصدي»! ... اتركني أنا أتصرف!

الخدام الأول: تصرف يا سيدي.

الخدام الثاني (يتجه إلى آخر المكان وينادي): يا حضرة الأفندي ... يا حضرة البك ...

تسمح هنا دقيقة ... حصل غلط في الحساب.

الخدام الأول (وهو ينظر إلى جهة الشجرة في الخارج): العقل زينة! الله ينور عليك يا

«أبو درش»! ... الأفندي سمع كلامك وجعل الست تنتظر تحت الشجرة ... وأقبل جهتنا.

الخدام الثاني: مهمتي أنا انتهت ... عليك أنت الباقي ... قل له ما حصل بالضبط ... لا

زائد ولا ناقص.

الخدام الأول: وأنت؟

الخدام الثاني: موجود ... أسمع لا غير.

الخدام الأول: تسمع وتسندني عند اللزوم.

الخدام الثاني: عند حصول «تلبيح» من جنابك؟ ... مفهوم!

(عز الدين يظهر.)

عز الدين (للخدام): من الذي غلط في الحساب؟! ... أنا أو أنت؟

الخدام الأول: الحساب مضبوط يا سعادة البك ... الغرض كله أننا نقول لحضرتك

كلمة صغيرة في السر!

عز الدين: كلمة؟ ... تفضل!

الخدام الأول (يتنحج): المسألة بسيطة جداً ... ولا نحب أن نُطيل عليك ... الست التي

كانت هنا مع حضرتك وضعت لك السم في فنجان الشاي!

عز الدين (صائحاً): السم؟! ...

الخدّام الثّاني (يتدخّل بسرعة): اهدأ يا بك ... زميلي غلط في الكلام ... إنه يريد أن يقول إنها وضعت شيئاً في الفئجان ... وهذا الشيء لا يعرف حقيقته أحدٌ منا ... وليس من حقّه أن يقول إنه سم أو غير سم.

عز الدين (مضطرباً): وضعت لي السم؟!!

الخدّام الأوّل: لا يا سعادة البك ... ليس هذا قصدي ... الحكاية أنها وضعت لك قطعة من سكر من عندها ... لا من عندنا؛ فإذا حصل لجناحك شيء فنحن غير مسؤولين!

عز الدين (كالمُخاطب نفسه): سمّنتي؟ ... «سعاد»؟!!

(يرتمي على كرسي ويُمسك ببطنه).

الخدّام الثّاني: لا تنزعج يا سعادة البك هكذا! ... ما دمت لم تشعر بشيء لآن!

الخدّام الأوّل: البك قال إنه شعر بطعم الشاي في مرارة الحنظل.

عز الدين: نعم، نعم ... فهمتُ الآن، فهمتُ.

الخدّام الأوّل: الشاي لا يمكن أن يكون في مرارة الحنظل أبداً!

الخدّام الثّاني: اسكت أنت!

عز الدين: البوليس ... استدعوا البوليس!

الخدّام الأوّل: هل تشعر جناحك الآن بشيء؟

عز الدين (وهو يُمسك ببطنه): مخص!

الخدّام الأوّل: مخص؟!!

عز الدين (صائحاً): طبعاً ... إني مسموم.

الخدّام الأوّل (في حيرة): والعمل؟

عز الدين (صائحاً): طبيب ... استدعوا الطبيب! ... ألا يوجد بالقرب من هنا طبيب؟

الخدّام الثّاني: نطلب الإسعاف بالتلفون؟

عز الدين: نعم ... الإسعاف.

الخدّام الثّاني: بسرعة يا «عوضين»! ... اطلب الإسعاف بالتلفون، وبلغ نقطة «بوليس» الزمالك!

الخدّام الأوّل: يا للكارثة! ... مصيبة ونزلت علينا في الجنيّة!

الخدّام الثّاني: من عقلك الوسخ ... لو كنت قلت لي ساعة الست ما سلمتك الورقة الملفوفة، كنا عرفنا نتصرّف ونمنع القدر قبل وقوعه!

الخدام الأول: نمنع القدر؟! ... المكتوب على الجبين تراه العين ولو بعد حين.
الخدام الثاني: أهذا وقت الأمثال والمواعظ؟! ... أسرع يا «عوضين» ... الأفندي وجهه أصفر كركم.

الخدام الأول (وهو يتحرك مسرعاً): رقم الإسعاف كم؟

الخدام الثاني: اسأل السنترال يا أخي!

الخدام الأول (يرى سعاد مقبلة): الست!

سعاد (تدخل مسرعةً): ما هو الموضوع؟ ماذا حصل يا عز الدين؟

الخدام الأول: قطعة السكر إياها.

سعاد: أقلت له؟

الخدام الأول: طبعاً قلت له ... الحكاية كبيرة ... وفيها مسئولية علينا!

عز الدين (لسعاد): وضعت لي هذه القطعة في الفرجان؟

سعاد: نعم يا عز الدين وضعتها.

عز الدين: معترفة! ... اذهبي إذن ... بل ابقِي ... وانتظري البوليس!

سعاد: البوليس؟

عز الدين: هذا هو تصميمك إذن؟ ... أن تقتليني بالسم!

سعاد: ما هذا الذي تقول؟

عز الدين: فهمتُ الآن ... الآن بعد فوات الأوان ... قولك إنك لن تقضي مني مكتوفة اليدين.

سعاد: أقتلك بالسم؟! ... أنت جُننت؟

عز الدين (صائحاً): أحشائي ستمزق بعد قليل ... اصنعوا شيئاً من فضلكم، ولا تقفوا هكذا تشاهدون!

الخدام الثاني (صائحاً): الإسعاف يا «عوضين»!

سعاد (للخدام مستوقفةً): انتظر! (تقترب من عز الدين كالوالهة) ... «عز الدين» ...

«عز» ... ماذا أسمع؟ ... أنت جاد؟ ... أتؤلمك أحشاؤك حقاً؟ ... هذا مستحيل ... ماذا تناولت؟ ... ماذا شربت؟

عز الدين: لم أشرب غير الشاي الذي وضعت لي فيه أنت قطعة السكر!

سعاد: ما هذا الهراء؟

عز الدين: ابتعدي عني ... ابتعدي ... ابتعدي!

سعاد: أبتعد عنك يا عز؟! ... أهذا معقول؟!

عز الدين: ماذا تريدني مني بعد ذلك؟ ... روعي وانتزعتها مني ... في شربة!

سعاد (وهي تلتفت إلى المائدة): أين الفنجان؟ ... فنجانك الذي شربت منه؟!

عز الدين: لا ... لا تلمسيه قبل الشروع في التحقيق.

سعاد (وهي تسرع إلى التقاط الفنجان): أي تحقيق؟ ... لا تفقد صوابك يا «عز الدين»

بهذه السرعة ... أليس هذا فنجانك الذي شربت منه الساعة؟

عز الدين: نعم هو بعينه ... لأنه بدون لبن.

سعاد: انظر، لا تزال فيه بقية لم تشربها أنت ... بقية تقرب من النصف!

عز الدين: ماذا أنت صانعة؟

سعاد: هذا ... (تتجرع بقية الفنجان دفعة واحدة.)

عز الدين (مأخوذاً): السم ... أنت أيضاً؟

سعاد: نعم، لنموت معاً ... استرحت الآن؟

الخدّام الأول: الله! ... كمثّل رواية السّيما يا «أبو درش» روميو وجولييت!

الخدّام الثّاني: هس! ... اسكت أنت!

الخدّام الأول: ومركزنا في الحكاية؟

الخدّام الثّاني (يشير إليه بإصبعه على فمه): قلت لك: اسكت!

سعاد (لعز الدين المأخوذ): استراح بالك يا «عز الدين»؟!

عز الدين (يُضيق): أبداً ... نموت معاً؟ ... وما ذنبي أنا أموت ... ومن قال لك إنني أريد

أن أموت؟! ... وبأي حقّ تفعلين هذه الفعلة بدون رأيي؟ ... وتنقليني من هذا العالم بدون

إذني؟!

سعاد: أليس لي الحق، لو كنتَ زوجي، أن أنقلك من شقة ضيقة إلى شقةٍ أوسع بدون

إذني؟!

عز الدين: شقةٍ أوسع؟

سعاد: جداً ... جداً ... وهل هناك أوسع من العالم الآخر؟ ... هناك على الأقل لا نحتاج

إلى عقد زواج لنكون معاً طول الوقت ... إلى أبد الأبد!

عز الدين (صائحاً): يا للمصيبة!

سعاد: بالعكس ... إنها السعادة!

عز الدين (صائحاً): يا «جرسون» ... بوليس!

سعاد (صائحة): يا «جرسون» ... قهوة!

الخدّام الأول (للخدّام الثاني): رأيك ... أحضر أي طلب؟

الخدّام الثاني: أحضر الطلب الذي فيه «بقشيش».

الخدّام الأول (صائحاً): اثنين قهوة!

عز الدين (صائحاً): لا أريد الموت ... لا أريد أن أموت ... وأنت أيتها السفّاقة، من أيّ شيء أنت مصنوعة؟! ألا تخافين الموت؟! ... ألا تشعرين بمغص؟! ... لماذا لم تخبريني قبل ارتكاب الجريمة؟ ... ثقي أنني كنتُ تزوجتُك في الحال ... وارتباطنا في هذه الحياة خير من الارتباط في حياة الأبد.

سعاد: حقاً ... كان ارتباطك في الحياة المؤقتة أهون لك وأخف وطأة؛ لأن الأبد طویل ... ولكن ما الحيلة معك وقد كنت تُراوِغ وتتهرّب من مجرد لفظ الزواج ... من لم يرض بالخوخ يرض بشرايه!

عز الدين: ليتني رضيتُ بالخوخ وبالقطران أيضاً! ... آه ... لا أريد الأبدية ... لا أريد أن أموت!

سعاد: حتى ولا معي؟

عز الدين: لا معك ولا بمفردي ... الروح حلوة ... أريد أن أعيش!

سعاد: معاً ... في هذه الدنيا ... هذه الشقة الصغيرة؟!

عز الدين: معاً ولو على قارعة الطريق!

سعاد: ستعيش يا عز!

عز الدين: أعيش؟! ... والسم؟

سعاد: لا يوجد سم!

عز الدين: والمغص؟

سعاد: لا يوجد مغص ... هو الوهم ... إني واثقة أنه الوهم.

عز الدين: وقطعة السكر التي وضعتها لي في الفنجان؟

سعاد: لا يوجد فيها أيّ مادة ضارة.

عز الدين: وما هو الدليل؟

سعاد: لو كان فيها ما يضر لما شربت بقية فنجانك، مهما تكن النتيجة.

عز الدين: معقول!

سعاد (للخادمين الواقفين): هل تريدان أن تتفرجاً وتشاهداً فضلاً آخر؟!

الخادمان (في ارتباك): لا ... يا ست!

سعاد: أسرعاً إذن بالقهوة ... سكر على الريحة.

(الخادمان يخرجان.)

عز الدين (في شك): أقسمي لي يا «سعاد» أنك لم تسميني.

سعاد: أسمك؟! ... أليس لك عقل يفكر؟! ... بالعقل والمنطق، ما هي مصلحتي في

ذلك؟

عز الدين: اليأس مني.

سعاد: اليأس منك ملاً نفسي حقاً ... ولكن هذا اليأس لا يمكن أن يدفعني إلى قتلك أنت

... بل قد يدفعني إلى قتل نفسي!

عز الدين: معقول ... فضلاً عن أن كل هذا لا يحل الموضوع ... ولا يُقدّم ولا يُؤخّر.

سعاد: بالضبط.

عز الدين: كان الأمر إذن دعابة.

سعاد: نعم ... لا أكثر ولا أقل ... وقد أثمرت الدعابة، وحصلتُ بفضلها على وعدٍ منك

صريح.

عز الدين: أي وعد صريح؟

سعاد: ألم تقل الآن إنك تريد الارتباط بي في هذه الدنيا ... هذه الشقة الصغيرة، ولو

على قارعة الطريق؟!

عز الدين: أصدقت هذه الدعابة؟!

سعاد: أكانت دعابة؟!

عز الدين: طبعاً ... دعابة رداً على دعابتك ... «خالصين»!

سعاد: متشكرة جداً!

عز الدين: العفو!

سعاد: هكذا رجعت سريعاً في كلامك ... وحنثت بوعدك ... لم يكّد يعود إليك

الاطمئنان على حياتك الضيقة، حتى بادرت تطرد منها أخلص الناس إليك.

عز الدين: أعدتِ إلى اليأس مني؟

سعاد (بعزم): نعم ... ولكن محالٌ أن أُسلمَ بالهزيمة، أو أركن إلى الفرار ... إنك ملكي ... وفي قبضتي ... على الرغم منك.

عز الدين: على الرغم مني؟

سعاد: وعلى الرغم مني أنا أيضاً؛ فأنا كالمصيدة، وأنت كالفأر؛ فما أنا بمستطيعه أن أفتح بابي لأطلقك ... وما أنت بمستطيع أن تخرج من تلقاء نفسك ... لم تعد لنا إرادة الأمر!

عز الدين (كالمساخر): منذ متى؟

سعاد: منذ لحظة.

عز الدين: شيء عجيب! ... ما الذي حدث منذ لحظة؟

سعاد: وسيلة فعالة اتخذتها ... ألم أقل لك إنني لن أحجم عن اتخاذ أي وسيلة؟

عز الدين: ما هي هذه الوسيلة؟

سعاد: وُضِعَ تلك القطعة في فنجانك.

عز الدين: آه ... عدنا إلى تلك القطعة الملعونة.

سعاد: لا تخف ... قلتُ لك ليس فيها ما يضر ... ولكن قد يكون فيها ما يُخجل.

عز الدين: يُخجل؟ ... يُخجل من؟

سعاد: يُخجل إنسانة مثلي.

عز الدين: لست أفهم.

سعاد: في هذه القطعة سحر ... أو على الأصح عمل، كما يقولون ... نعم ... فيها طلاسّم وتماثم وأشياء لا أفهمها مما يُكتب على الأحجبة، قيل إنها مُجربة ومضمونة التأثير!

عز الدين: لمن هذا؟

سعاد: لك أنت بالطبع.

عز الدين: تسحريني؟!

سعاد: أسحرُ إرادتك لتُقدم وتتشجع وتتزوج! ... هذا كلُّ ما في الأمر!

عز الدين: يا للسخافة! ... أنت تفعلين هذا؟! ... فتاة مثقفة مثلك ... درستُ في الجامعة ... تلجأ إلى السحر والتنجيم؟!

سعاد: احتقرتني؟

عز الدين: تفعلين ما يفعله العامة والجهلاء؟!

سعاد: أفعل كل شيء في سبيل الحصول عليك.

عز الدين: سعاد ... إني لا أستطيع أن أتصور ذلك!

سعاد: ضع نفسك في محليّ تجد هذا طبيعياً ... إنك لي يا «عز» كل شيء! ... إنك كل هدفي في الحياة ... إنك تذهب إلى عملك فتفكر فيه وأنا كل عملي الذي أفكر فيه هو أنت ... أنت أمسي ويومي وغدي ... وأفقي الذي أتطلع إليه في كل شروق وكل غروب!

عز الدين: أنت؟ أنت يا «سعاد» تؤمنين حقاً بهذه الخرافات؟

سعاد: أومنُ بكل ما يوصلني إليك ... كل إنسان يؤمن بما يُحقق له أمله ... أنت يا «عز» ... لماذا تؤمن بحزبك؟ أليس لأنه سيوصلك إلى هدفك في الترقية؟

عز الدين: أو تقارنين حزبي المصلح بسحرك وتنجمك؟

سعاد: إنك ترى حزبك مُصلحاً لأنه سيقضي على محسوبية الآخرين حقاً، ولكن لمصلحة محسوبيتك أنت! ... ثق يا «عز» أنه ليس من السهل التجرد من ذلك ... كل شيء صالح ... وكل شيء مُصلح، وكل شيء فيه صلاح وإصلاح ما دام في مصلحتنا!

عز الدين: كلام فارغ!

سعاد: لا تخدع نفسك! ... إن الله — تعالى — نفسه لا يؤمن به بعض الناس إلثا لاعتقادهم أنه سيحقق لهم أمانيتهم ... إن المجرم على حبل المشنقة له أمل في الله أن يغفر جريمته، ويدخله آخر الأمر جنته، لولا ذلك ما هتف باسمه في آخر لحظاته ... ليس على الأرض إنسان يرفض الإيمان بما فيه النفع له.

عز الدين: لا، لا تحاولي أن تبرري التجاء مثلك إلى السحر والتنجم!

سعاد: وما الضرر في هذا الالتجاء، إذا كان فيه فرصة للنجاح، ولو بمقدار واحد في

المائة؟

عز الدين: ما هذا الخبل؟ ... فرصة للنجاح! ... أنت إذن مُصرّة على أن هذه التمائم

والتعاويد يمكن أن تؤدي إلى نتيجة؟

سعاد: وأي نتيجة؟ ... نتيجة باهرة يحار لها العقل ... وقريباً جداً ... أقرب مما تظن

ومما كنت أظن ... الآن على الأخص أدركت أن لها مفعولاً عجبياً.

عز الدين: مفعولاً عجبياً!

سعاد: نعم ... بدأت أشعر بذلك الآن ... أنسيت أني شربتُ ما بقي في الفئجان؟! ... هذا

الباقى لم يكن بالقدر القليل ... إنه يكاد يساوي القدر الذي شربته أنت.

عز الدين: بدأت تشعرين بماذا؟

سعاد: بدأت أشعر بنوعٍ من ... من إحساس غريب ... لا أدري كيف أصِفُه ... وأنتَ ...
ألم تشعر بعدُ بشيء؟

عز الدين: لا!

سعاد (تُحَمَلِقُ فيه جيداً): أأنت متأكدة؟

عز الدين: بماذا تريدان أن أشعر؟

سعاد: لا بد أن تكون الآن قد بدأتَ تشعر بشيء!

عز الدين: شيء مثل ماذا؟

سعاد: مثل الذي أشعر أنا به.

عز الدين: وما الذي تشعرين أنت به؟

سعاد: جفاف ... أشعر بجفاف حلقي!

عز الدين (يبلع ريقه): عجباً! ... أنا أيضاً أشعر بجفاف في حلقي!

سعاد (في لهجة الانتصار): رأيت؟

عز الدين: حقاً ... (يتنبه فجأةً) انتظري ... أتضحكين من ذقني؟ ... هذا الجفاف في

الحلق لا بد أن يكون من الشاي المر الذي تجرّعناه معاً!

سعاد (بخُبثٍ): طبعاً ... وهل قصدتُ أنا غير ذلك؟!

عز الدين: آه ... ظننتُ أنك تقصدين شيئاً آخر.

سعاد: لا ... ثقْ أني مخلصّة في كل مشاعري، ولا يمكن أن أتحدّث إليك إلا عمّاً

يُخَالِجُنِي حَقِيقَةٌ مَن ظواهر وإحساسات وأعراض.

عز الدين: هذا الجفاف علاجه سهل ... (ينادي) يا جرسون!

الخدّام الأول (من الخارج صائحاً): حاضر! (ثم يظهر).

عز الدين: كوبين من الماء.

سعاد: والقهوة؟ ... ألم نطلب قهوة؟!

الخدّام الأول: قهوة؟! اطلبِ جدّاً!

سعاد: طبعاً جدّاً! ... وهل بيننا مزاح؟!

الخدّام الأول (وهو يخرج): حاضر ... حالاً ... لا مؤاخنة! ... حسبتُها مداعبةً بينكما

داخلة في القصة.

عز الدين (وهو ينظر إلى الخادم المنصرف): مداعبة بيننا؟

سعاد: هكذا يُخيل إليهم ... أما أنا فلم أكن في أي لحظةٍ من اللحظات جادةً معك مثلما أكون الساعة!

عز الدين (يُفكر في كلامها ملياً): وهل هذا من الصواب؟

سعاد: ربما كان هذا فعلاً من الخطأ أو من الجنون ... ولكن الذي وقع قد وقع ... ولم تُعد لنا حيلة في رد القضاء ... ومن يدري؟ ... ربما أندم يوماً على هذه الفعلة!

عز الدين: أيُّ فعلة؟

سعاد: هذا السحر الذي سيربطني بك.

عز الدين: وهل هو سيربطك بي؟

سعاد: هذا مُؤكّد!

عز الدين: متى؟

سعاد (تنظر إلى الساعة في معصمها): في ظرف نصف ساعة!

عز الدين: شيء عجيب!

سعاد: لا تعجب كثيراً ... هناك أسرار فوق أفهامنا ... والقوى التي تؤثر في النفوس لا تُدركها دائماً عقولنا ... وليس ها هنا مجال شكّي ... إنما بدأت أشك في مصلحتي أنا فيما أقدمت عليه! ... هل ارتباطي بك أنت بالذات أمرٌ كان ينبغي أن أسعى إليه؟

عز الدين: هكذا بهذه السرعة تندمين على الارتباط بي؟!

سعاد: هذا ما يُدهشني أنا نفسي!

عز الدين: إن للعصفور بهجةً حتى يقع في اليد ... أليس كذلك؟

سعاد: نعم ... الآن وأنت في يدي بدأ إدراكي يتسع وعيني تتفتح ... وأراك على حقيقتك ... من أنت؟ ... وما قيمتك؟ ... وما فائدتك لي ... بدرجتك الخامسة الإدارية؟

عز الدين: والقلب يا «سعاد» ... أليس له صوتٌ في كل هذا؟

سعاد: أيُّ قلب؟

عز الدين: ذلك الذي كان يقول منذ قليل إن «عز» هو كل عملك الذي تفكرين فيه ... هو أمسك ويومك وغدك ... وهو أفقك الذي تتطلعين إليه في كل شروق وكل غروب.

سعاد: لعل صوت القلب هو الذي يستطيع أن يخفت صوت الندم.

عز الدين: صوت الندم ... ما هذا الكلام الجديد؟! ... أهذا يا «سعاد» حقاً شعورك الأخير؟!

سعاد: نعم.

عز الدين: يا للعجب! ... ألم نشرب معاً من فنجان الشاي؟! ... لماذا لم أشعر أنا إذن بشعورك هذا؟!

سعاد: ليس لهذا الشعور دخل في الشاي الذي شربناه ... إنما هو صادر عن عواقب تحقق الأمنية.

عز الدين: وإذا كنتِ نادمةً يا سعاد، فلماذا نُقدم على هذا الزواج؟

سعاد: وكيف نستطيع الرجوع؟

عز الدين: أهو قد تم؟

سعاد: أولاً تشعر بذلك الآن؟

عز الدين: وأنتِ؟

سعاد: إني أشعر.

عز الدين: تشعرين بماذا؟

سعاد: أشعر ... نعم أشعر تماماً ... هذا الآن واضح ... مفعول الشاي قد سرى في نفسي، ولا سبيل إلى الإنكار ... كلُّ كياني خاضع في هذه الدقيقة لقوة لا أستطيع تعليلها ولا دفعها ... لا بد أنك تشعر يا «عز» في هذه اللحظة ... أنت أيضاً ... بعين هذا الشعور.

عز الدين: أيُّ شعور؟

سعاد: عجيبة! ... ألم تشعر بعد؟

عز الدين: بماذا؟ ... أخبريني بماذا؟ ... أرجوك!

سعاد: هذه القوة الخفية!

عز الدين: أيُّ قوة خفية؟

سعاد: مستحيل ... مستحيل ... إنك تُتكر ... إنك تُكابر ... أيمن أن أحس هذا وحدي من دونك ... وقد شربنا ذلك الشاي معاً!

عز الدين: صفي لي هذا الشعور، ربّما كان عندي ولا أعلم!

سعاد: هو نوع من إحساس غامض، يستولي الساعةً على نفسي، وكأنه يصيح بي من أعماق كياني هذه الصيحة الخافتة: «عز» و«سعاد» شيء واحد ... «عز» و«سعاد» مرتبطان!

عز الدين: هذا صحيح ... إني فعلاً أحس الآن أننا قريبان جداً أحدنا إلى الآخر.

سعاد: أرايت؟

عز الدين: أرى هذا واضحاً في هذه اللحظة!

سعاد: لم يعد سبيلٌ إلى الشك في هذا الإحساس!

عز الدين: حقاً!

سعاد: إنه شيء أقوى منا يا «عز»!

عز الدين: حقيقة ... أقوى منا!

سعاد: «عز» و«سعاد» مرتبطان.

عز الدين: نعم! ... «عز» و«سعاد» مرتبطان.

سعاد: آمنت بمفعول السحر؟

عز الدين: السحر؟ ... لا تقولي هذا الكلام الفارغ ... ولا تُشوّهي جمال هذه اللحظة بهذه الدعابة التافهة ... إني أشعر حقاً أن شيئاً يربطني إليك الآن برباط قوي ... ولا أحسبني سأندم على الزواج منك كما ندمت أنت منذ قليل ... إني في الواقع لن أعطيك الآن غير درجتي الخامسة الإدارية ... ولكن من يدري؟ ... من يدري ماذا يعطينا الغد؟ ... آمني بي يا «سعاد» ... إني في حاجة إلى إيمانك بي ... قولي إني أمسك ويومك وغدك حتى أستطيع أنا أن أومن بنفسني وغدي ... وأرجوك ... أرجوك ألا تندمي مرةً أخرى على هذا الإيمان بي!

سعاد: أخشى أن تندم أنت على كلامك هذا، بعد أن تغادرني إلى بيتك الآن.

عز الدين: لن أغادرك إلّا إلى بيتنا.

سعاد: بيتنا؟

(الخدّام الأول يدخل حاملاً صينية القهوة والماء.)

الخدّام الأول: القهوة ... سكر على الريحة.

عز الدين (ناهضاً): اسمع يا جرسون ... ألا يوجد بالقرب من هنا ...؟

الخدّام الأول (فزِعاً): خير إن شاء الله! (عز الدين ينتحي بالخدّام ناحيةً ويهمس في أذنه بأمر) ... حاضر ... حالاً ... تسمح دقيقة ... زميلي يعرف (يتجه إلى أقصى المكان وينادي) يا «أبو درش»!

الخدّام الثاني (من الخارج): نعم يا سي «عوضين»!

الخدام الأول (بصوتٍ خافتٍ ويُدَارِي فمه بكفّيه): تعالَ بسرعة ... البك الزبون إياه
الموجود مع الست سألني يوجد بالقرب من هنا ...

الخدام الثاني (من الخارج): مفهوم، مفهوم ... بوليس! ... إسعاف؟

الخدام الأول: لا يا أخي لا، لا ... المسألة كبيرة.

الخدام الثاني (يدخل بلهفة): حانوتي؟

الخدام الأول (بصوت خافت): مأذون!

الخدام الثاني (يبتسم بهدوء): «كويسة!»

(ستار)